

العلاقات العربية الصينية وأثرها في الفكر الديني الياباني تناكاً إيبه نموذجاً

أ. د. سمير عبد الحميد إبراهيم نوح

نظرة تاريخية على اتصال العرب بالصين وإسهامات العرب والمسلمين في الحياة العلمية والفكرية

وصل العرب والمسلمون إلى الصين قبل أكثر من ١٣٠٠ سنة ، فقد كانت هناك سفارات وصلت منذ زمن الخلفاء الراشدين، فالسجلات الصينية تشير إلى وصول مبعوث الخليفة عثمان رضي الله عنه إلى الصين ولقائه بإمبراطور الصين قاو تسنغ.

ويذكر الباحث السوداني جعفر كرار أحمد زميل معهد الدراسات التاريخية بجامعة بكين أن مصادر أسرة مينغ تؤكد أن أربعة رجال قدموا من شبه الجزيرة العربية إلى الصين أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم للتبليغ بالإسلام، واستقر أولهم في مدينة غوانزهو Guanzhou بينما استقر الآخر في مدينة يانغزهو Yangzhou وانتهى المقام بالصحابي الثالث والرابع بمدينة كوانغزهو Quanzhou ، وهناك مصادر تذكر وصول بعثة عربية إلى الصين زارت البلاط الإمبراطوري في العاصمة "سيان" Xian حالياً "شي آن" ورجعت البعثة إلى الجزيرة العربية عن طريق وسط آسيا وبلاد فارس(١).

منذ البدايات كان الاتصال بين الصين من جهة وبين العرب والمسلمين من جهة أخرى قائماً أساساً على الاهتمام بالمعاملات التجارية، ولم يكن لدى الطرفين حاجة للحديث عن الدين أو حتى الفكر والثقافة، بل كان كل طرف يصف دين الآخر، فالرحالة العرب والمسلمون يصفون عادات الصينيين وتقاليدهم بينما المؤلفون الصينيون يصفون المسلمين وكيف يعبدون الله، فقد ذكرت حوليات عهد أسرة "كوانغ تنغ" (٦١٨م-٩٠٧م) في القسم الخاص بالتجار المسلمين الذين كان يطلق عليهم "داشي" أن بعض الغرباء وفدوا على "كانتون"، يعبدون الله، وليس في معابدهم تمثال ولا صورة، دياتهم تختلف عن ديانة بوذا، وكانوا لا يطعمون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر، ويطلق عليهم اليوم اسم "هوي هوي" ولما استأذنوا الإمبراطور "قاو تسنغ" وحصلوا منه على إذن بالإقامة في "كانتون" بنوا دوراً جميلة من طراز يختلف عن ذلك الذي في بلادنا، وكانت لهم ثروة عظيمة، ودانوا بالطاعة لرئيس انتخبوه بأنفسهم.

ولم يكن انتشار المسلمين في موانئ الصين الساحلية فقط بل توغلوا داخل الصين فوصلوا إلى "تشوان تشو" و"يانغ تشو" و"هانغ تشو" على نهر "اليانسيكيانغ" وانتشر الإسلام في الصين خلال فترة أسرة تانغ التي انتهت حكمها للصين سنة ٩٠٧م

حين بدأ عهد أسرة سُنغ (٩٠٧م - ١٢٧٩م) كانت أعداد كبيرة من المسلمين قد استقرت على سواحل الصين وبخاصة في "كانتون" و"تسي تون" المعروفة في المصادر العربية باسم "الزيتونة" وغيرها، ودخل كثير من السكان المحليين في الإسلام، وشارك أبناؤهم وأحفادهم في إدارة الدولة الصينية وفي حركة الأدب والثقافة وبخاصة في مجال الترجمة، ويذكر أن مؤلفات ابن سينا قد نقلت إلى الصينية في عهد أسرة سُنغ(٢).

تمكن المغول من القضاء على حكم أسرة "سُنغ" وتوحيد الصين وتأسيس أسرة "يوان المغولية" (١٢٨٠م) التي جلبت معها عشرات الآلاف من الحرفيين والعلماء والإداريين المسلمين إلى الصين للمساعدة في إدارة الصين وإعمارها، كانت الصين من نصيب "قبلاي خان" الذي لقب بـ "يوان سي تسو" ويذكر أنه في عهده كانت الصين تضم اثني عشرة مقاطعة منها ثماني ولايات حكمها ولاة مسلمون، كما كان هناك نواب حكام من المسلمين في مقاطعات أخرى،

(١) جعفر كرار أحمد ، رسالته للدكتوراة بعنوان تاريخ العلاقات الصينية العربية جامعة نانجين ١٩٩٥م غير مطبوعة

وبحثة دراسة حول الإسلام والمسلمين في ظل الدولة المغولية في الصين بحث غير مطبوع

(٢) ذكر فهمي هويدي في كتابه الإسلام في الصين ان الصين احتفلت سنة ١٩٥٢م بذكرى مرور ألف سنة على ميلاد

ابن سينا في مؤتمر بعنوان ابن سينا والطب الصيني ص ٤١ الإسلام في الصين سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٨١م

ويمكن الرجوع لما كتبه ابن بطوطة في رحلته لندرك المكانة التي وصل إليها المسلمون آنذاك، الذين انتشروا في مدن الصين المختلفة وكانوا خليطاً من من الفرس والعرب والأتراك (١).

ويشير رشيد الدين الهمداني صاحب التواريخ (٢) إلى وجود قادة عسكريين في يوتان من المسلمين العرب وغيرهم أسهموا في القضاء على آخر معاقل أسرة سونغ الجنوبية بعد فتح مدينة "زيانغ يانغ Xiang Yang" وقد ورث الأبناء والأحفاد مواقع الآباء والأجداد في الجيش، واندمج هؤلاء تدريجياً في المجتمع الصيني وتحولت أسماؤهم الإسلامية إلى أسماء صينية أو خضعت الأسماء العربية الإسلامية إلى طريقة النطق الصيني فصار اسماعيل يكتب i-si-ma-yin أما محمد فكان يكتب ma- hu- ma- su وهكذا.. وقد وصل المسلمون إلى مكانة عالية أشارت إليها المصادر العربية والفارسية مثل صبح الأعشى للقلقشندي وجامع التواريخ لرشيد الدين الهمداني، ويشير الأخير إلى أن المسلمين تولوا مناصب رفيعة في جميع المجالات لدرجة أن مراسم قبلاي خان وأوامره كانت تترجم إلى اللغة العربية والفارسية. (٣)

وقد أشار رشيد الدين الهمداني في تاريخه إلى أن داراً للقضاء الإسلامي الحكومي تأسست عام ١٣١١ م، وانتشرت المدارس الإسلامية التي تدرس اللغة العربية واللغة الفارسية فضلاً عن العلوم الإسلامية، كما تأسست مدرسة لدراسة فن الخط العربي والفارسي ١٢٨٩م وكان المسلمون يتمتعون بالحرية الدينية في ظل حكم أسرة المغول مثلما تمتعوا بها في عهد أسرتي تانغ وسونغ والاستقلالية في إدارة شئون دينهم ومعاشهم وكان لتواجد المسلمين في مناطق الصين المختلفة تأثير ملحوظ على الثقافة الصينية وعلى العلوم المختلفة في الصين، فقد استخدم المغول التقويم الإسلامي الهجري الذي أعده الفلكي المسلم جمال الدين، وقد أطلق على التقويم الإسلامي "تقويم وان نيان" ويعني العشرة آلاف سنة، وكان التقويم الهجري مرجعاً مهماً لوضع التقويم الصيني على مدار أربع مائة سنة امتداداً من أواسط القرن الثالث عشر (٤) كما أسهم الصينيون بدورهم في الفلك الإسلامي (٥)

ولم يقتصر الأمر على الفلك فقد نشطت حركة ترجمة كتب عربية في الرياضيات بما فيها أصول الهندسة، وأسهم المسلمون في تطوير علم الجغرافيا والخرائط في الصين، وقد نهل الصينيون من الطب الإسلامي ونهل المسلمون أيضاً من الطب الصيني، وأثبت رشيد الدين الهمداني في كتابه قائمة بالمؤلفات الطبية الصينية المترجمة من لسان أهل الخطأ أي الصين إلى لغة الفرس ثم إلى لغة العرب.

رعاية أباطرة الصين للعلماء من أصول عربية وإسلامية

إسهامات علماء العرب المسلمين وتأثيرهم بالفكر الديني الصيني والثقافة الصينية

اندمج المسلمون إبان عهد أسرة "يوان" المغولية وذابت أعداد كبيرة منهم في الثقافة الصينية وذلك بشكل تطوعي، وتأثر المسلمون الصينيون في تلك الفترة بأفكار الكونفوشية وتعاليمها، بل أصبح بعضهم من كبار أساتذتها، ولم يكن هذا

(١) هويدي مصدر سابق ص ٦٠ وما بعده

(٢) انظر الترجمة العربية للكتاب الفارسي جامع التواريخ مجلد ٢ ترجمة محمد صادق نشأت ومحمد موسى هندأوي وفؤاد عبد المعطي الصياد دار احياء الكتب العربية ط القاهرة دون تاريخ

(3) Rossabi, Morris, The Muslims in the Early Yun Dynasty p.276

نقلا عن جعفر أحمد مصدر سابق وانظر ايضا فيصل السامر الجذور التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى دار الطليعة وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٧م

(٤) جمال الدين باي شوي مساهمات المسلمين الصينيين في التاريخ مقال في كتاب سلسلة ثقافية منشورات مجلة بناء الصين بكين ١٩٨٢م دار النشر باللغات الأجنبية نقلا عن جعفر بحث غير منشور

(٥) العلاقات الثقافية الخارجية في فترة أسرة يوان مجلة بناء الصين يوليو ١٩٨٠م بقلم جاو صيان نقلا عن جعفر أحمد مصدر سابق

بالأمر الغريب لأن تعاليم الكونفوشية الأخلاقية لا تتعارض مع تعاليم الإسلام في شيء (١) وفي عهد الإمبراطور ين يو Yen yu (١٣١٤م - ١٣٢٠م) اهتم المسلم الصيني شوشين تاي shu shin tai (قائد وحدة المدفعية في خونان) بالكونفوشية كثقافة وفكر فاستخدم ثروته الخاصة في تأسيس أكاديمية استغرق بناؤها عشر سنوات كما أسس ابنه معين تيمور (وكان ينطق بالصينية مو-اين-تيه-مو mu yen tieh mu) مكتبة الكلاسيكيات والكتب القديمة.

لم يقتصر الأمر على الفكر الديني بل تعداه إلى الثقافة والأدب الصيني فقد برع عدد من المسلمين في الأدب الصيني، واحتلوا مكانا مرموقا في تاريخ الأدب الصيني، ولم تقتصر إسهامات المسلمين الصينيين على الفكر الأخلاقي الكونفوشيوسي أو الشعر الصيني بل كان منهم من برعوا في فن الرسم والخط بل برع بعضهم في عدد من الفنون والأنماط الأدبية في وقت واحد مثل "كاو كو كونغ" kaoko-kung الذي كان شاعرا ورساما، وتخصص أيضا في الفلسفة الكونفوشية والتاريخ والأدب الصيني (٢)

كما اهتم الصيني العربي المسلم شمس وينطق في الصينية "شم سي Sham-si" ليس فقط بالفكر والثقافة الكونفوشية بل بالثقافة الطاوية أيضا، كما كتب نحو اثني عشر كتابا عن الكونفوشية والطاوية والفلك والتنجيم والجغرافيا والتاريخ وعلم البيئة أي علم تخزين المياه، وأعد أطلسا جغرافيا فضلا عن كتابه سيرة حياة العظماء (٣) ولم يقتصر الأمر على الرجال بل تعداه إلى النساء، فهناك نساء مسلمات شاعرات وأديبات (٤).

يعد العالم المسلم الذي كان يلقب بالسيد الأجل/عمر شمس الدين (١٢١١م-١٢٧٩م) أو كما تطلق عليه المصادر الصينية الأمير العربي زيانغ يانغ Xiang Yang نموذجا للتعايش بين المسلمين وأتباع الأديان والتقاليد المختلفة في الصين، وقد أوضحت مخطوطة ترجع إلى سنة ١٦٨٤م صفحات من تاريخه الذي لمع أثناء حكم أسرة يوان وكان حاكما على مقاطعة يونان. (٥)

ويذكر أن أسرته هاجرت من الجزيرة العربية إلى بخارا حيث ولد شمس الدين، وقد رحلت أسرته إلى الصين سنة ١٠٧٠م مع جيوش المغول، وذاعت شهرته في منطقة بكين، ويان جينغ Yanjing وهينان Henan وزيندينغ Zhending وغيرها وكسب ثقة الناس في الصين، وكان حكيما متسامحا في سياسته الدينية وعلاقته مع القوميات المختلفة والأقليات في منطقة تضم تشكيلة متباينة من الأقليات والديانات والثقافات المختلفة، وهكذا بنى مسجدين كبيرين كما بنى معابد ومدارس لآتباع الكونفوشية بل يقال إنه أول من بنى في عام ١٢٧٤م-١٢٧٦م أول معبد كونفوشيوسي في تاريخ منطقة يونان، وألحق به مدرسة لدراسة التعاليم الكونفوشية فضلا عن تدريس علوم أخرى مثل الطب والفلك وغيرها (٦)

(١) انظر سمي عبد الحميد : الاسلام والأديان في اليابان القسم الخاص بالشتو مكتبة الملك عبد العزيز العامة الرياض

وانظر صفحات البحث الأخيرة

(٢) جعفر كرار مصدر سابق

(٣) تاريخ أسرة يوان نقلا عن جعفر كرار مصدر سابق

(٤) تشير حوليات أسرة مينغ والمصادر الصينية إلى أديبة مسلمة صينية عاشت في زمن أسرة يوان اسمها "يوتيه إيه" ابنة جمال الدين مفتش منطقة "وو تشانغ" وكانت توف بالغة الصينية وعالمة بالكلاسيكيات. نقلا عن جعفر أحمد مصدر

سابق

(٥) هويدي المسلمون في الصين ص ٥٢ وما بعده

(٦) جعفر أحمد مصدر سابق

ازداد عدد المسلمين في زمن أسرة مينغ (١٣٠٩م - ١٦٤٤م) زيادة ملحوظة نظرا للتزاوج بين الأسر المسلمة من الأصول العربية والايرانية والتركية والصينية وقد أصدر الإمبراطور عددا من المراسيم الإمبراطورية لحماية المسلمين وضمان حقهم في العبادة (١).

وقدم أرضا ودعما ماليا لبناء مسجدين، وشجع المسلمين على مواصلة الأعمال التجارية داخل الصين، ووصل الأمر إلى حد أن الإمبراطور تايزو Tai-zu (١٣٦٨م - ١٣٩٨م) أمر ببناء مسجد في نانجين ونظم بنفسه قصيدة مكونة من مائة كلمة في مدح الرسول الكريم، نحتت على نصب حجري وضع في المسجد (٢) وهكذا كان العرب والمسلمون يلقون معاملة طيبة من إمبراطور أسرة مينغ التي أعادت العرش إلى عرق الهان الذي تنتمي إليه الأغلبية الساحقة من الشعب الصيني، فتزوجوا من صينيات من الهان، وتقبلوا بعضا من عادات أهل الصين الأصليين. (٣)

في عهد أسرة مانشو (١٦٤٤م - ١٩١١م) واصل المسلمون اندماجهم في المجتمع الصيني وإسهامهم في تطوير المجتمع وإدارته، وظهرت قيادات إسلامية وعلماء متخصصون في القرآن والحديث والفقه والتوحيد وغيرها من العلوم الإسلامية مثل الشيخ "وانغ داي يو" المتوفي ١٦٦٠م وهو أول من كتب عن الدين باللغة الصينية والشيخ "مانشو" الذي كتب عن الإسلام والشيخ ليو تشيه المتوفي ١٧٣٠م (٤) وهو عالم معروف كتب كتابا في السيرة من عشرين جزءا وسيأتي الحديث عنه فيما بعد، والشيخ "مانو تشو" المتوفي ١٨٧٣م وقد كتب خلاصة أصول الدين الأربعة وتعريف روح الإسلام، وهكذا نلاحظ أن المسلمين أصبحوا يحملون أسماء صينية بجانب الأسماء العربية كما أن الأسماء المتداولة في مجتمعات المسلمين أخذت صياغات صينية. (٥)

تعرض المسلمون لظروف قاسية أحيانا إلا أن الإمبراطور تشين يوانغ (ويكتب أيضا تشيان لونغ) في سنة ١٧٣١م حاول أن يهدئ من روعهم فأصدر بيانا يحدد فيه سياسته، وهو بيان يشرح وضع المسلمين ومكانتهم في الصين على مر التاريخ، فذكر أنه "في ولاية من ولايات الإمبراطورية يوجد منذ قرون كثيرة مضت عدد كبير من المسلمين يشكلون شريحة من شرائح الشعب الصيني وأنا أعتبرهم كأبنائي، وأنظر إليهم كما أنظر إلى بقية رعيي تماما، لا أفرق بينهم وبين الذين لا يدينون بالإسلام" (٦)

ومن أهم الدلائل على انتصار الإمبراطور تشيان لونغ للمسلمين، وقوفه إلى جانب طباعة كتاب سيرة خاتم النبيين للعالم المسلم الشيخ ليوتشيه سابق الذكر (وينطق أيضا ليو تسي) الذي أمضى ثلاث سنوات في تأليفه من سنة ١٧٢١م إلى ١٧٢٤م تنقل خلالها في أرجاء الصين سعيا وراء الكتب العربية والفارسية الخاصة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ونشر الكتاب لأول مرة سنة ١٧٧٥م وفي سنة ١٧٨٢ حين أعيد نشره بعد مرور سبع سنوات على الطبعة الأولى، قام البعض بإقامة دعوى باطلة لمعارضة نشر الكتاب، اشتهرت بقضية "هاي فو رون" ومن أجل تسوية القضية عرض كتاب السيرة النبوية على الإمبراطور تشيان لونغ فاستحسنه بعد مطالعته ووضع له مقدمة أشاد فيها بالكتاب، وبذلك أصبح

(١) مرسوم سنة ١٣٩٢م يحمي المسلمين وممتلكاتهم ومساجدهم

(٢) جعفر أحمد المصدر السابق

(٣) هويدي المسلمون في الصين ص ٦٨ وما بعدها

(٤) جاء في كتاب المسلمون في الصين ليحيى هويدي أنه توفي سنة ١٧٤٥م والتاريخ الذي أثبتناه مذكور في الطبعة الجديدة لكتاب سيرة خاتم النبيين انظر الكتاب المذكور مقدمة محمد علي تشانغ جيع رئيس الجمعية الإسلامية الصينية يونيو ١٩٨٤م بكين

(٥) هويدي مصدر سابق ص ٦٨ وانظر ايضا الموسوعة الجغرافية المجلد الأول جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٩٩٨م

(٦) نقلا عن هويدي ص ٧٢ - ٧٣

الكتاب أكثر شهرة من ذي قبل الأمر الذي حدا بالسيد "يوان" صاحب المطبعة التي نشرت الكتاب من قبل إلى إعادة طباعة الكتاب عدة مرات. (١)

وقد استوعب المسلمون دروس تاريخهم في الصين فلم يكونوا راغبين في أن يظهروا كأجانب فهم مواطنون صينيون، وإن اختلف دينهم واختلفت لغتهم عن بقية مواطنيهم من أتباع الأديان والعقائد الأخرى، وكانوا من الحصافة بحيث بنوا بعض مساجدهم دون مآذن كما كان بعضها مصمما على الطراز الصيني بحيث لا يمكن أن يميز الناظر إليها من الخارج بينها وبين أي معبد آخر أو منشأة عامة في الصين مثل مسجد "تشنغ تشن داسي" (بمعني بيت الله تعالى) المبني في "شي أن" وقد تأسس في عصر مينغ، والحقيقة أن المسلمين لجأوا إلى ذلك مراعاة لشعور الصينيين وتجنباً لاستفزازهم، ولم يتميزوا عن غيرهم من الصينيين في الزي والملابس العادية حتى لا يكاد يعرفهم أحد من أول وهلة، بينما في المسجد كان الشيوخ يضعون العمامة بينما المصلون يضعون الطاقية البيضاء أو السوداء على رؤوسهم. (٢) كما كان المسلمون يشاركون معابد الكونفوشية احتفالاً وكان منهم من يعمل موظفاً فيها.

والحقيقة أن المسلمين - كما يذكر توماس أرنولد - كانوا يصورون الإسلام لمواطنيهم من الصينيين على أنه متفق مع تعاليم الكونفوشية مع فارق واحد هو أن المسلمين يسرون وفق تعاليم أجدادهم في الزواج والجناسات وغسل الأيدي قبل وجبات الطعام، وتحريم لحم الخنزير والخمر والدخان ولعب الميسر، وقد كانت مؤلفات المسلمين تمجد كتب كونفوشيوس وغيرها من الكتب الصينية، وتشير إلى الإتساق بين ما في الكتب الصينية وتعاليم الإسلام (٣).

استمر الوجود الإسلامي حتى اليوم دون انقطاع ويرجع السبب إلى أن المسلمين الذين أقاموا في الصين واندمجوا في المجتمعات الصينية، والصينيين الذين أسلموا واندمجوا في المجتمعات الإسلامية، لم يجدوا ما يحول بينهم وبين ذلك، نظراً لأن عقائد الصينيين وتقاليدهم الثقافية النابعة من تراثهم القديمة لا تتعارض مع المبادئ الأخلاقية الإسلامية، مما حدا بعلماء المسلمين في الصين الكتابة عن الإسلام وشرحه لمواطنيهم الصينيين على خلفية العقيدة الطاوية والعقيد الكونفوشية.

الفكر الديني الصيني: تأثيره بالإسلام وتأثيره في اليابان

نشير هنا باختصار إلى الطاوية والكونفوشية والبوذية في الصين لأن هذه المعتقدات والتقاليد هي التي حددت في معظم الأوقات جوانب العلاقات المختلفة بين المسلمين وجيرانهم داخل الصين من جهة وأثرت على الفكر الديني الياباني من جهة أخرى.

من المعروف أن الطاوية متعمقة في الصين وهي أقدم من الكونفوشية وأشمل منها، بل هناك من يرى أن كونفوشيوس نفسه يعد من رسل الطاوية والمبلغين بها، وليس للطاوية مبدأ معين لكنها مجموعة متداخلة من المعتقدات الشعبية أساساً تهتم بإيجاد التوازن بين البشر والعالم من حولهم أو الماضي على الطريق الصحيح في الحياة، والطاوية تشبه الشنتوية اليابانية لدرجة أن الطاوية تعني تعاليم الطريق أو شريعة الطريق والشنتوية تعني طريق الإله (٤) وكلاهما بمعني الصراط المستقيم، ولهذا انتشرت الطاوية في صورة الكونفوشية في اليابان، وقد وصلت الكونفوشية إلى اليابان قبل وصول البوذية. (٥)

تعني الكونفوشية باختصار شريعة الحكم عن طريق الأخلاق، إلا أنها ارتبطت أيضاً بفهم الكون والسماء لذا عدها البعض عقيدة أو ديناً جوهره التعليم الذي يؤدي إلى أن يفيد الإنسان نفسه على أساس مبادئ الأخلاق الأمر الذي يؤدي

(١) مقدمة كتاب سيرة خاتم النبيين بقلم محمد علي تشانغ جيه رئيس الجمعية الإسلامية الصينية - بكين يونيو

١٩٨٤م

(٢) هويدي ص ٧٦

(٣) هويدي ص ٧٨

(٤) انظر امين ماكوتو ميزوتاني الأديان في اليابان بين الماضي والمستقبل دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٧م ص ١٦٠

(٥) طبقاً لسجلات التاريخ اليابانية القديمة سنة ٢٨٥م

إلى حسن الإدارة في البيت أولا ثم يتعداه إلى الدولة فيؤدي إلى استقرارها، وهذا الاستقرار هبة من السماء، وكونفوشيوس يرى أن تربية الإنسان لنفسه وسموه الأخلاقي أمر ممكن لأن هذه هي الفطرة التي فطر عليها الإنسان، كما أن الإنسان خير في الأصل. (١)

ازدهرت تعاليم الكونفوشية كثيرا في الصين وصارت دستورا تشريعيا، لأنها تعلم الولاء وطاعة ولي الأمر، واستخدمها الصينيون واليابانيون على حد سواء بإفراط فكانت الأصولية الكونفوشية تعني إرغام المواطنين على تقديس الإمبراطور الراعي الإلهي، وقد أحدث هذا قلقا شديدا في أوساط المسلمين الصينيين الذين رفضوا الخضوع لغير الله الواحد، ورفضوا تقديس غير الله.

أما البوذية فوصلت الصين من الهند في القرن السادس الميلادي وتحولت إلى ما يطلق عليه بوذية الزن أي التأمل والاستغراق في التأمل، ثم تحولت في القرن الثامن إلى ما أطلق عليه البوذية الصوفية، وقد انتقلت البوذية الصينية إلى اليابان، ولا شك أن صراعا أو نزاعا كان يحدث أحيانا بين أصحاب العقائد السابقة الذكر سواء في الصين أو اليابان، وفي الصين حدثت نزاعات أو صراعات بين الصينيين من غير المسلمين والمسلمين تسببت فيها أحيانا عناصر خارجية .

لم تكن الكونفوشية التي انتقلت تعاليمها إلى اليابان من الصين ديناً أو عقيدة ، وأكثر من هذا فإن الفلاسفة اليابانيين البارزين مثل " إينازو نيتويه " يرون أن البوشتيدو استوحت فضائل الكونفوشية واعتمدتها في تكوينها المتعلق بالأخلاق، فأقرارها للمبادئ الأخلاقية الخمسة ما بين السيد والمسود، والحاكم والمحكوم، والأب والابن، والزوجين والأصدقاء ، إنما هي جميعها تؤيد ما كانت تتمخض عنه الغريزة اليابانية قبل تسرب تعاليم كونفوشيوس إلى اليابان قادمة من الصين.

وفي الصين كان المسلمون من جانبهم يحاولون شرح الإسلام لمواطنيهم الصينيين على أرضية العقيدة الكونفوشية إن صح التعبير وهذا ما ذكره توماس أرنولد، ومن المعروف أن العالم المسلم الشيخ ليوتشي - صاحب كتاب سيرة خاتم النبيين - كان يعلم الكونفوشية، وكان يدرس العقائد الصوفية وفلسفة التأمل، وكان يعتقد أنه لا فرق أبداً بين تعاليم الإسلام الأخلاقية وتعاليم الكونفوشية، وهذا ما أشار إليه الياباني المسلم "تناكا إيبه" الذي تتلمذ على كعبه واستفاد من مؤلفاته وترجم كتابه سيرة خاتم النبيين إلى اليابانية، ونقل كثيرا من أفكاره، وقد اعتنق الياباني تناكا إيبه الإسلام، وهو يعد رائد الدراسات الإسلامية في اليابان (٢) واعتقد تناكا إيبه بدوره أنه لا فرق بين التعاليم الأخلاقية في الطاوية والبوذية والإسلام، ويفهم من مؤلفات العالم الصيني ليوتشي تأثره بأفكار كونفوشيوس ونظراته الخاصة التي تتضمنتها الأفكار الصينية التي كان يدرسها منذ صغره. (٣) ويمكن الاطلاع على أفكار ليوتشي في علم الكلام من خلال كتابه المسمى بشرح لطائف وهو بالعربية (٤).

سمات التعليم الديني الإسلامي في الصين

نشأ تدريس الدين الإسلامي والعلوم الإسلامية في الصين منذ أمد بعيد ، وتطور ذلك من خلال المساجد في أواخر أسرة مينج (١٣٦٨-١٦٤٤م) وأوائل حكم أسرة تشينغ (١٦٤٤-١٩١١م) حين وضع مشاهير العلماء المسلمين كتباً

(١) انظر سمير الاسلام والأديان في اليابان مصدر سابق

(٢) انظر تناكا إيبه رائد الدراسات الإسلامية ورحلاته في بلدان آسيا والجزيرة العربية تحرير نخبة من الأساتذة ترجمة

سمير عبد الحميد وسارة تاكاهاشي مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية الرياض ٢٠٠٤م

(٣) انظر باليابانية فهم الاسلام في الفكر الياباني المعاصر مقال شينغرو هاسيبي الحاج تناكا إيبه والصين ص ٣٤٦

نشر جامعة تاكشوك ٢٠٠٨م

(٤) طبع في الهند سنة ١٣٢٠ هجرية باهتمام الفقير عبد الحكيم الحاج السيد محمد نور الحق بن السيد لقمان الصيني البخاري الأصل الذي أشاد بالمؤلف قائلاً والله لولا ختم المصطفى لكان بالصين نبيا وفي آخر صفحة كتب هذا الطبع واقع بمجنبور في سنة ١٣٢٠ الهجرية النبوية وعلى صاحبها أفضل الصلاة وأكمل السلام وعلى أصحابه أجمعين والحمد لله تمت الكتاب في شهر ربيع الأول بعون الله انظر الملحق

باللغة الصينية ، أطلق عليها الكتب الإسلامية الكلاسيكية القديمة ، وبدأ الأئمة يدرسون لتلاميذهم هذه الكتب في المساجد ، وقد أدى هذا إلى تشجيع دراسة تعاليم الإسلام ، مما ساعد على وجود عدد كبير من علماء المسلمين الصينيين ، يعرفون العربية والفارسية ويفقهون القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وكانوا يعلمون باللغة الصينية ، وبلغه أخرى هي خليط من العربية والفارسية ، وانتشرت الكتب التعليمية المترجمة للصينية .

ومن الكتب التي ترجمت أو كتبت بالصينية في أواخر حكم أسرة مينغ كتاب " شرح حقائق الإسلام " ، و " جامع تعاليم الإسلام " ، و " شريعة الإسلام " ، و " سيرة النبي عليه الصلاة والسلام " ، وقد ذكر تناكا ابيه أنه استفاد من بعض هذه الكتب وغيرها. ولم يقتصر دور المساجد على الصلاة والتعليم ، وإنما تجاوزها إلى إبرام عقود الزواج ، وإصدار وثائق الطلاق ، وتجهيز موتى المسلمين والصلاة عليهم ، والتعرف على أحوال المسلمين الاجتماعية ، وعلى مشاكلهم ، والبحث عن حلول لها ، والتوفيق بين أفراد الأسر ، وإصدار الفتاوى الشرعية وغيرها ، وباختصار كان المسجد محور حياة المسلمين الدينية والاجتماعية والثقافية ، وهو ما ألح إليه تناكا ابيه في كتاباته في مواضيع مختلفة .

برز في عهد أسرة مينج عالم صيني المولد من مقاطعة يون نان يدعى كونغ تاسو ، أسس مدرسة في أحد مساجد يون نان ، وكان يدرس الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية ، واشتهرت مدرسته ، كما نال هو شهرة واسعة حتى لقب بمعلم المعلمين أو أستاذ الأساتذة (١). وهناك علماء آخرون أنجبتهم المدارس الدينية ، ومنهم الشيخ " وانغ دي يو " (حوالي ١٥٦٠-١٦٦٠م) ويعتقد أنه أول عالم صيني كتب عن الإسلام بالصينية (٢) ومن أشهر كتبه " الأجوبة الصحيحة عن الدين الحق " وكتاب " حقيقة الإسلام " ، ومن العلماء المشهورين أيضا الشيخ ماتسو (١٦٤٠-١٧١١م) ، الذي ألف كتابا ضخما من عشرة أجزاء بعنوان " إرشاد الإسلام " ، ويأتي من بعده الشيخ لوتشي الذي ترجم تناكا ابيه كته إلى اليابانية ، والذي ينطق اسمه باليابانية ريوكايكو ، ومن أهم مؤلفاته حقائق الإسلام في ستة أجزاء ، وسيرة خاتم الأنبياء في عشرين جزءا وأحكام الإسلام في عشرين جزءا ، وهناك عالم آخر هو الشيخ ما فو تسو (١٧٩٤-١٨٧٣م) الذي اشتهر بمؤلفاته مثل : " خلاصة أصول الدين الأربعة " ، و " مقصد الحياة " ، و " التعريف بروح الإسلام " و " أحكام الدين " . (٣)

هل يمكن أن يكون الإسلام قد أثر على الفكر الديني الصيني؟

وجهة نظر يابانية

يرى بعض المفكرين اليابانيين وجود احتمال قائم بشأن تأثير الأفكار الإسلامية على الكونفوشية وبخاصة مذهب زوتشي ومذهب يانغ منغ ، يذكر البروفسر شيغرو هاسيه المتخصص في الدراسات الصينية أنه كان يقرأ كتاب السيرة النبوية الذي كتبه العالم المسلم الصيني ليوتشي فوجد أن ما كتبه المؤلف عن الإسلام إنما هو شرح للمنطق الكونفوشي ، ويكتب البروفسر شيغرو : " لم يطرأ على ذهني أبدا أنه كان يشرح الإسلام بل ظننت أنه يكتب عن الكونفوشية بأسلوب منطقي واضح فأدركت أن نظام الفكر الاسلامي يفوق الفكر الكونفوشي ، ويقال إن العلماء الصينيين المسلمين قد درسوا علوم الكونفوشية لكي يعرفوا وجود الله وإثبات وجود الله . ويتساءل البروفسر شيغرو : لماذا أثر الإسلام في الكونفوشية؟ ويجب : لأن زوتشي ١١٣٠م-١٢٠٠م الذي أسس الكونفوشية الجديدة كان رجلا متجولا في المناطق المجاورة لميناء الزيتونة سينشو Senshu الذي كان يجتمع فيها أصحاب الديانات .. وبالمثل كان المؤسس الثاني للكونفوشية الجديدة "أو يوميه" ١٤٧٢م-١٥٢٨م (عهد منغ) كان في بحثه عن الطريق أو الشريعة أشبه بالصوفي ، وقد

(١) فهمي هويدي : الإسلام في الصين الكويت ١٩٨١م ص ٨٢-٨٣

(٢) الموسوعة الجغرافية المجلد الاول ص ٣٢٥ ومن أشهر كتبه " الأجوبة الصحيحة عن الدين الحق " وكتاب " حقيقة الإسلام " ،

(٣) الموسوعة الجغرافية المجلد الأول ص ٣٢٦ وفهمي هويدي ص ٨٧

شرح العقيدة الأساسية لاتحاد رب الكون والانسان أي نظرية وحدة الوجود، وهكذا أثر الإسلام في الكونفوشية وأثرت الكونفوشية في الفكر الياباني وكان تأثير الاسلام سابقا على التأثير الأوربي في اليابان. (١)

فلا شك - كما ذكر البروفسر شيغيرو هاسيبييه - أن الإنسان حين يتنقل من مكان إلى مكان ذهابا وإيابا ينقل معه عقيدته ودينه مما يجعلنا نتساءل: هل يمكن وجود فكر مستقل أو منعزل عن بقية الأفكار؟ وهل يوجد حد فاصل أو قاطع بين الحضارات كما يدعي أصحاب فكرة صراع الحضارات. (٢)

تناكا إيبييه وتأثره بالفكر الديني الإسلامي في الصين

ولد تناكا إيبييه في الثاني من إبريل سنة ١٨٨٢م، و في العاشرة من عمره عمل مع أمه في أحد المحلات التجارية واهتم في صغره بقراءة نوع من الأدب الصيني، و في سنة ١٩٠٠م (٣٣ ميحي) التحق الشاب تناكا إيبييه الذي بلغ من العمر تسع عشرة سنة بالمدرسة التايوانية " تايوان كيوكاي جاكو " (بجيم قاهرية) التي كانت نواة جامعة تاكشوك الحالية ، وكانت رغبته في دراسة الأدب الصيني شديدة . سافر تناكا إيبييه إلى بكين بعد أن توفي والده ، ثم عاد ليدرس مرة ثانية في المدرسة التايوانية

حين كان في الرابعة والثلاثين من عمره وفي سنة ١٩١٥م (السنة الرابعة من حكم تايشو) عُيّن رئيسا لفريق من الباحثين في القسم العسكري في " تشين تاو " بالصين . حين كان في الثانية والأربعين سافر ثانية إلى الصين سنة ١٩٢٣م (٩ تايشو) ووصل إلى ساي نان وهناك ارتبط بمسجد " سيه شين نان داي جي ، وظل يدرس الإسلام على يد الإمام الصيني الأهون (أو الأخوند) سو فو رين ، ذلك الإمام الذي ينتمي إلى إقليم زهيللي ، و أعلن تناكا إيبييه إسلامه في يوم الجمعة الحادي عشر من يناير سنة ١٩٢٤م ، وصار اسمه نور أو الحاج نور محمد ، أو كما سمي نفسه ذات مرة الحاج نور محمد بن آدم (٣) وشهدت السنوات التالية تغيرا ملحوظا على شخصيته

أقام تناكا إيبييه مدرسة لتدريس الصبية، وبدأ الاتصال بالأئمة المسلمين في الصين وغيرها ، وكان يرافقهم أو يصطحبهم إلى طوكيو ، وقد عاد مرة إلى اليابان مع الإمام أو الأهون تشو تو كو إمام مسجد هو تين سيه شين جي ، وكذا مع قربان علي التتاري الذي أسهم في بناء مسجد طوكيو ، ونشط الحاج نور محمد تناكا معهما في تعريف اليابانيين بالإسلام

وحين بلغ الحاج نور محمد تناكا الخمسين من عمره ، فكر جديا في إجراء حوار بين الديانات الخمس في اليابان وهي الشنتوية والبوذية والكونفوشية والإسلام والنصرانية على ما أعتقد ، وقد واثته هذه الفكرة سنة ١٩٣١م (العام السادس من حكم شوا) واستمر في العمل في قسم الدراسات الآسيوية في معهد دايتو بنكا جاكو إين (بجيم قاهرية) . في عام ١٩٣٣م قرر أن يسافر إلى الحج مرة أخرى وبعد أداء شعائر الحج عاد الحاج محمد نور من مكة ، متجها إلى شغهاي ، وخلال الرحلة البحرية مرض مرضا شديدا ، وحين وصل إلى اليابان في ٢٣ مايو سنة ١٩٣٤م نقل إلى المستشفى حيث وافته المنية في الساعة الخامسة فجر يوم الخامس عشر من سبتمبر (٤).

(١) أثر الإسلام في حضارة اوربا وآسيا نريهيكو ايكيذا هيديومي موتو وآخرون تقرير الندوة البحثية للحلج الياباني إيبييه تناكا جامعة تاكشوك ٢٠٠٨م

(٢) المصدر السابق ص ١٨٩

(٣) انظر رحلته للحج الترجمة العربية في كتاب تناكا إيبييه ترجمة سمير عبد الحميد وسارة تاكاهاشي مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية الرياض ٢٠٠٤م

(٤) ذكر بدر الدين الصيني في كتابه عن المسلمين في الصين أن تناكا الذي ترأس وفدا إسلاميا يابانيا قد توفي على إثر إصابته بالمalaria في البلاد العربية ، ولم يثن ذلك مرافقه من القيام بجولات واسعة في البلاد الإسلامية .. الخ انظر كتابه العلاقات بين العرب والصين مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط اولى ١٩٥٠م ص ١٤٣ - لكن الحقيقة أن تناكا قد وصل اليابان وتوفي بالمستشفى كما أوضحنا.

شخصية تناكا إيبه ومكانته : من ناحية العقيدة كان تناكا إيبه سمحا مع كل الأديان، كان شنتويا لأن عقيدة الشنتو هي العقيدة الوطنية ، لكنه أيضا كان يندمج مع البوذية، ويأخذ منها ما يراه مناسباً لفكره، كما كان يتمسك بما في تعاليم الكونفوشية من مبادئ إنسانية، وقد درس النصرانية في مرحلة مبكرة من مراحل حياته، ورغم أنه كان يدرس الأدب الصيني لكنه كان ينصح أصحابه ورفاقه بضرورة الانتباه للثقافات الأخرى في آسيا والتعرف عليها وأوصى قبل موته بأن يهتم الدارسون اليابانيون بالإسلام، وبأن يهتموا بدعم علاقاتهم مع المسلمين في آسيا بخاصة وفي العالم كله (١)

الأثر العربي الصيني في تشكيل الفكر الديني لتاناكا إيبه

الظروف والمصادر التي شكلت ثقافته الإسلامية : تردد تناكا إيبه على الصين وعاش فيها نحو عشرين سنة، وخلال هذه السنوات العشرين تشكلت في ذهنه صورة الإسلام الذي انطلق من جزيرة العرب، بعد أن نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ، وخلال هذه السنوات ظل تناكا إيبه يرسم في ذهنه صورة طاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويقرأ ويدرس ويترجم ما كتبه علماء الصين وغيرهم عن الإسلام ، وخلال تلك السنوات العشرين عاش تناكا إيبه المسلمين واختلط بهم، واقترب منهم أكثر فأكثر، ثم قرر في النهاية أن يعتنق الإسلام ، وأن يكون مسلماً حقيقياً، وأن يؤدي أصعب الفرائض في ذلك الزمان ، وهي فريضة الحج .

ويعترف تناكا نفسه بأن اعتناقه للإسلام لم يكن نتيجة رغبة آتية طارئة، ولا لهوى عابر، ولا لأسباب سياسية أو لأغراض البحث العلمي، وإنما كان لقناعته التي تمتد إلى آمام بعيدة (٢). ويشير تناكا إيبه إلى بداية رحلته إلى الصين ، فيذكر أنه في صيف عام ٣٥ من عهد مييجي / ١٩٠٢م سافر إلى بكين مشعباً بآمال الشباب وطموحاته، وهناك في الصين قضى سنوات مزعجة ثم يقول : " .. ومن حسن حظي أنني كنت أذهب من وقت لآخر إلى مسجد قريب من بيتي ، في ذلك الوقت كنت أشعر بنوع من الراحة ، نتيجة إحساسي بأنني في جو من الألفة والأخوة والصدقة .. كنت أبحث عن دربي مدة عشرين سنة .. لكنني فشلت في كل شيء للأسف فشعرت بالضعف يدب في مفاصلي ، كما شعرت بأنني لا أجد من أثق به ، في ذلك الوقت التقيت بمحمد النبي ، ووجدت القرآن الكريم الذي نزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ومن هنا عادت إلي قوتي وثقتي بنفسي ، وكنت كلما فكرت في بوذا والبوذية يأتي على ذهني محمد النبي (صلى الله عليه وسلم) . (٣) ومن هنا بدأت مشاعر تناكا إيبه الشاب تتجه نحو الإسلام ، أو كما قال نحو الطريق الصحيح ، لأنه كان يريد أن يعطي معنى لحياته (٤).

فمن المعروف أن أسرته كانت تتبع عقيدة الريزاي زين البوذية التي انتقلت من الصين إلى اليابان سنة ١١٩١م وبعد سفره إلى الصين اهتم قليلاً بدراسة الطاوية، وهي الديانة القديمة التي ظهرت في منطقة شاندونغ في الصين، وكان تناكا إيبه قد أقام طويلاً في شاندونغ، وكما ذكرنا كان قد درس في صغره النصرانية، ثم اهتم بالكونفوشية ، إلا أن صورة النبي (صلى الله عليه وسلم) كانت باقية في أعماق قلبه ، ومن هنا كان دائماً يربط بين مفهوم الله في الإسلام ، ومفهوم الله في الفكر الياباني القائم على العقيدة الشنتوية ، وكان يرى أنه طالما توجد علاقة بين الكونفوشية والزين ، فإن هناك علاقة بين الإسلام والكونفوشية، وهكذا بدأ تناكا يربط أيضاً بين الإسلام والشنتوية اليابانية ، مما دفعه لنشر كتاب بعنوان " مستقبل الإسلام في الصين والديانة الصينية في البلد السامي " أي اليابان ، وكان يسعى إلى أن يتلقى من بعض القراء انطباعاتهم حول هذا الموضوع. وقد ذكر تناكا إيبه أن ما تعلمه عن الإسلام كان من خلال كتاب " مختصر الدين الحق النقي " أي مختصر مبادئ الإسلام ، ومناسك الحج ، وكتاب سيرة النبي ، ومن خلال كتب أخرى مترجمة إلى الصينية ،

(١) تناكا إيبه المجلد الأول جامعة تاكشوك طوكيو ط اولي

(٢) تناكا إيبه ٣٥٥ المجلد الأول جامعة تاكشوك ط اولي

(٣) انظر أيضاً ما كتبه يوشيدا شيجيرو بجيم قاهرية تناكا إيبه ٣٥٥ المجلد الأول

(٤) مشاهدات ياباني أسلم في الصين إعداد عباس البستاني وكيوكا نيشيموتا مجلة دراسات شرقية فكرية فصلية محكمة

العددان ١٣-١٤ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ص ١١٢

جعلته يكتشف أن الإسلام دين رائع. وقد لخص الأستاذ نور الدين نوبوأو موري الأستاذ بجامعة تاكشوك احتواء ذهن تناكا للعقائد المختلفة عبر مراحل حياته في السطور التالية :

" كان السيد تناكا في شبابه من معتنقي ديانة الشنتو اليابانية بل ومن الملتزمين بأداء طقوسها الدينية ، بالإضافة إلى دراسته البحثية للدين المسيحي طوال عشرين عاما من خلال الكتاب المقدس الذي ترجمه إلى اليابانية السيد / أوتشيمورا كانزو ، كما كانت عائلته من أتباع طائفة ريتزاي " مذهب زين " بالديانة البوذية ، درس في صباه بمدرسة العلوم الصينية الخاصة وكان في الصين - قبل إسلامه - متخصصا في فلسفة طاو الصينية التقليدية ، هكذا كان درب السيد تناكا الفكري والعلمي حتى اهتدى بالإسلام . انتهى "

أوضح تناكا إبيه في يومياته التي سطر فيها ذكرياته في الصين بالتفصيل الحالة الفكرية للمسلمين الصينيين وطريقة حياتهم اليومية ومساجدهم ومطاعمهم وكياباني مسلم نقل ملاحظات مهمة عن تعايش المسلمين داخل المجتمع الصيني مع غيرهم مع الحفاظ على تعاليم الدين بالشكل المفهوم لديهم(١).

يكتب تحت عنوان ذكريات (٢) مشيرا إلى مسلمي الصين ويضم نفسه إليهم أيضا فقد عاش في الصين وسافر داخل الصين وأحيانا خارج الصين كصيني لا ياباني:

" نحن لا نعبد محمدا ولا نصلّي لمحمد لكن عند مدخل المسجد كتبت عبارة تتعلق بسنة محمد وسيرته، وكنت كلما خرجت من المسجد بعد الصلاة أتوقف عند هذه العبارة باحترام وتبجيل، وهذا يدل من ناحية أخرى على أن محمدا لا يزال باقيا بين المسلمين بسيرته العطرة وسنته التي يتبعها المسلمون في حياتهم، وهذا ما لا نراه فيما يتعلق بكونفوشيوس، فلا نرى هذا الشعور تجاهه بين الناس بهذا الشكل، ولم تعد عقيدة كونفوشيوس سوى مجرد بقايا كتابات شي شو غوكيو. " ويذكر تناكا إبيه أن الإمام الشيخ مسموح له بالزواج مثل أي مسلم عادي .. وحين يقرأ المسلمون القرآن يتمايلون ويهزؤون رؤوسهم وهؤلاء أتباع جماعة جديدة لكن لا يوجد اختلاف بين الجماعة القديمة والجديدة فكلاهما ينتميان إلى المذهب الحنفي(٣). التقى إبيه بداعية مسلم نشط يدعي "أو سيه ساي" رئيس الهيئة التعليمية في تين شين له مؤلفات كثيرة، وكان قد قدم في زيارة تفقدية للمسلمين في المنطقة الغربية ذكر له "أن المسجد هذه الأيام لا يؤدي رسالته الحقيقية من أجل الدعوة الإسلامية لذا يجب التحرك هنا وهناك خارج المساجد، ويجب نشر تعاليم الإسلام بين الناس وإيقاظ المسلمين من ثباتهم" (٤) وكان هناك مسلمون من جنسيات مختلفة يعيشون في الصين فحين صلى إبيه الجمعة في مسجد تن داي جي وسط ٦٠٠ مسلم شاهد هنودا ومسلمين من جزر الهند الشرقية (إندونيسيا) وأشار إلى أنه لم يشاهد هذا المشهد إلا هنا في (تين شين) التي تبعد عن بكين عدة ساعات من السفر، وفي بكين زار منطقة تجمع المسلمين التي يطلق عليها حي غيوغاي، والتقى بامام مسجد بكين "أو شين غي" الذي قدم أجده إلى الصين في عهد سو وتحدث معه في موضوع مقارنة الأديان وشكا وضع الإسلام. وطبقا لتناكا إبيه الذي زار مناطق المغول يأتي المسلمون في منطقة تشوكاكو من حيث عددهم ومكانتهم في المقام الثاني بعد مسلمي تين شين، وهم يعملون في مجال الاستيراد والتصدير وتجارتهم مزدهرة دائما وفي المدينة ستة مساجد .. والإائمة هنا موثوق بهم. (٥) أما في مدينة نانكين فالمسلمون لا يفدون على أي مطعم إلا إذا كان مملوكا لمسلم وهناك مكان أطلق عليه بيت الشاي، يقدم فيه الطعام أيضا، وفيه

(١) انظر سمر عبد الحميد وسارة تاكاهاشي تناكا إبيه ورحلاته إلى الجزيرة العربية الصفحات المتعلقة

(٢) المصدر السابق ص ١٤١ وما بعدها

(٣) انظر التفاصيل ص ١٤٢ وما بعدها

(٤) نفسه ص ١٥٠

(٥) نفسه ص ١٦٥-١٦٦

يبيعون الصحف وغير ذلك .. ويناقشون تجارهم ومعاملاتهم معا ويتشاورون في موضوعات الخطبة والزواج والأمور العائلية... ويبيعون المناظير المكبرة والمسواك وخردوات كثيرة متنوعة .." (١)

تناكا ابيه وليوتشيه

لقد اهتم تناكا ابيه بترجمة كتابات العالم الصيني المسلم الشيخ ليو تشيه الذي يذكر اسمه في بعض الكتب هكذا : "ليوشياي لين" و "ليو تشيه ليان" كما يكتب أيضا بالحروف اللاتينية هكذا : Lui Tchih ، وأيضا Liu Tchiai و Liu Chai-Lien - (٢) وقد اشتهر ليو تشيه بكتابه "سيرة النبي الخاتم" الذي ترجم إلى الإنجليزية تحت عنوان The Arabian Prophet أي النبي العربي ، وقد ترجمه إسحاق ماسون Issac Mason وطبع في شنغهاي عام ١٩٢١م ، وكان إسحاق من المهتمين بانتشار الإسلام في الصين ، وكان يكتب بحثا في هذا الموضوع . (٣)

وقد ذكر الأستاذ (طبيب المختار) هيدومي موتو (جامعة تاكشوك) أنه بالرغم من أن معظم أعمال تناكا تتعلق بمسلمي الصين ، فقد اشتهر بترجمته لكتاب ليو تشيه ليان "سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم" إلى اللغة اليابانية ، وأضاف الأستاذ موتو : "بعد لقاء ونقاش مع الدكتور إبراهيم جوا ، شرح لي الدكتور جوا الكثير عن كتاب ليو تشيه ليان ، ووصفه لي ، وبين لي أمورا كثيرة تتعلق به وبأنه لا مثيل لهذا الكتاب بين مؤلفات أي مسلم صيني .." (٤)

وقد اطلع تناكا ابيه على ترجمة كتاب السيرة النبوية إلى الإنجليزية ، وذكر تناكا ابيه أن الترجمة فيها أخطاء كثيرة وفيها حذف كثير في مواضع عديدة ، كما أن المترجم تغافل عن إثبات النصوص العربية التي وردت في الأصل ، وهذا يوضح تمكن تناكا من دراسة مؤلفات ليوتشيه ، أو كما يقال له باليابانية ريوكايكو. من هنا من الضروري أن نشير إلى أثر فكر ليو تشيه ليان - الذي نال مكانة رفيعة في أوساط المفكرين الصينيين من مسلمين وغيرهم - على تناكا ، نظرا لأن دراسة ما كتبه تناكا ، وما أشار إليه من فكر ديني ، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك على أنه تخرج من مدرسة ليو تشيه ليان الفكرية ، ويؤكد على أنه وجد حلولاً لتساؤلاته الدينية في خلال مطالعته لمؤلفات ليوتشيه ليان فيلسوف الإسلام العظيم في الصين ، الذي قال عنه أحد العلماء الذين شرحوا كتبه: "فوالله لولا ختم المصطفى عليه السلام لكان بالصين نبيا !" (٥)

تشير المعلومات إلى أن ليو تشيه عاش في نان كين حوالي (١٦٦٢م - ١٧٣٦م) وتفرغ للبحث والتأمل ، وقد ذكر في كتابه "فلسفة الإسلام" أن ما دفعه إلى ذلك هو أنه كثيرا ما كان يسمع والده ، يتحسر على غربة الإسلام عن الجيل الجديد ، الذي نشأ يتحدث الصينية مع غياب المؤلفات ، التي تشرح له الإسلام بهذه اللغة ، ولهذا توجهت نيته منذ البداية إلى تقديم الإسلام وشرحه باللغة الصينية ، بل ذهب أبعد من ذلك ، وهو التفكير وفق هذا المعتقد من خلال هذه اللغة . وهذا المنهج هو المنهج الذي اختاره تناكا ابيه حين قدم فلسفة الإسلام الدينية لليابانيين وهو يكتب لهم بلغتهم .

وقد اختار ليو تشيه لنفسه طريقا صعبا للوصول إلى الحقيقة ، وصفه بالعبرة التالية :

".. قضيت ثماني سنوات أطلع فيها كل كتب التراث الكونفوشيوسي ، ثم ست سنوات أخرى لدراسة التراث البوذي ، وسنة أخرى لدراسة التراث الطاوي ، وأخيرا عكفت على قراءة مائة وسبعة وثلاثين كتابا أوريبا . (٦) ثم بدأ

(١) نفسه ص ١٩٤-١٩٥

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية بالإنجليزية والقاموس الصيني الإنجليزي لماثيو ، وأيضا ترجمة إسحاق لكتاب السيرة

النبوية بعنوان النبي العربي الذي طبع في شنغهاي سنة ١٩٢١م

(٣) الموسوعة الجغرافية م ١ ص ٣٣٥ وص ٣٥٢ الهوامش

(٤) انظر تناكا ابيه المجلد الثاني جامعة تاكشوك ص ٦٠٣ تقديم بقلم هيدومي موتو

(٥) انظر سعاد الوحيدي الفلسفة الإسلامية في الصين مجلة الدراسات الشرقية ص ٧٣ مجلة دراسات شرقية العددان

١٣-١٤ باريس ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

(٦) نقلا عن سعاد الوحيدي ص ٧٣

ليو تشيه ليان يبحث في عموم الصين عن كل ما كتب عن الإسلام يقول : " ثم طفت بكل بقاع الصين ، وزرت كل مكتباتها ، باحثا في كل مكان عما يمكن أن يوجد من مؤلفات تتعلق بديننا ، حتى ضاق أهلي ذرعا بانشغالي بهذا البحث الذي لم يكن بالنسبة لهم ليدر عليّ بأي نفع مادي " (١) وهكذا خلف لنا ليو تشيه تراثا ضخما من المؤلفات الدينية والفلسفية والعقائدية والصوفية وغيرها ، تجاوزت مئات المخطوطات ، وكانت نواة حركة تجديد فكري في الصين نمت وازدهرت ، إلا أن معظم كتاباته ظلت مخطوطة أو ضاع معظمها ، ومع هذا فقد طبع بعضها ، ومن أهمها كتاب السيرة النبوية الذي ترجم إلى الإنجليزية والفرنسية والروسية واليابانية ، وكتاب فلسفة الإسلام الذي عرف في أنحاء العالم ، وكذلك كتاب أسرار حروف اللغة العربية ، ومختصر المذاهب الإسلامية ، وشرح قواعد الإسلام وكتاب اللغة العربية وغيرها .

ويمثل كتاب السيرة النبوية وكتاب فلسفة الإسلام مساحة في فكر تناكا ايبه ، فالأول عرفه على نبي الإسلام ، بشكل جعل تناكا ايبه لا يفتأ يذكر النبي صلى الله عليه وسلم في كل موضع من مؤلفاته بل وفي أشعاره ، أما كتاب فلسفة الإسلام فيبدو أنه شكل الفكرة الأساسية عن الإسلام في ذهن تناكا ايبه ، وجعله يربط ما بين الفكر الإسلامي والفكر الكونفوشيوسي والشتوي ، وهذا الكتاب حظي باهتمام الباحثين في كل مكان كما أشارت الباحثة سعاد الوحيدي (٢) وقد حاول البعض تأصيل مصادر ليو تشيه في كتابه هذا ومنهم محمد واصل في بحثه بعنوان Arabic and Persian Sources used by Liu Chih (٣) ومن الغريب حقا أن يقوم أحد مفكري الإسلام في الصين بشرح كتاب فلسفة الإسلام باللغة العربية ، وهو الحاج محمد نور الحق الصيني (٤) واسمه الصيني هو ما ليان يوان - Ma Lian Yuan عاش بين سنة ١٨٤١-١٨٩٥ م ، وقد أشار الحاج محمد نور الحق إلى الاسم العربي الذي كان يسمى به ليو تشيه ليان ، فقد كان من عادة مسلمي الصين أن يتخذ كل منهم اسما عربيا إلى جانب اسمه الصيني ، وهكذا كان ليو تشيه ليان يتخذ لنفسه اسما عربيا هو صالح قيليان ، وذكرت الدكتورة سعاد الوحيدي أنها عثرت على دراسة تشير إلى المؤلفات الصينية للمسلمين ، جاء فيها ذكر ليو تشيه هكذا: Lieou Tchi Surnomme Kiailien Tchai (٥) وقد ذكر برومهل Marshal Brooomhal في كتابه الإسلام في الصين (٦) هذه العبارة مشيرا إلى أن ليو تشيه تشيه هو قاليان :

Liu chih was a native of Nanking and is also called KiaiLien

بحسب إشارة بليو Pelliot ضمن الفهرست الإمبراطوري الصيني الذي أشار إلى أعمال ليو تشيه ، كما أن عالما صينيا هو الشيخ محمد مكين الصيني كتب مقالة في مجلة الفتح (٧) مشيرا مرة إلى اسم ليو تشيه معربا بعد أن ذكر اسمه العربي : " .. ومسقط رأس العلامة صالح ليوجلين ومدفنه في نانكين عاصمة الصين الجديدة ، وقد زرت روضته الطاهرة سنة ١٣٤٧ هجرية ... ووضع مؤلفات العلامة ليوجلين رحمه الله بعد التصحيح فازدهر الإسلام مرة أخرى ، وطلع

(١) المصدر السابق

(٢) سعاد الوحيدي ص ٧٤

(٣) نشر البحث مع د ليسلي في 1982)pp.78-104 Central Asiatic Journal ,26/1-2

(٤) ينتمي الحاج محمد نور الحق الصيني إلى السيد الأجل الذي نرح إلى يون نان في زمن الإمبراطور قبلاني خان واسمه الصيني هو ما ليان يوان Ma Lian-Yuan عاش بين سنة ١٨٤١-١٨٩٥م

(٥) انظر سعاد الوحيدي هوامش ص ٧٥

(6)Islam in China A neglected Problem,Edinburg,1910,p.73Broom

Hall,Marshall

(٧) الفتح القاهرة عدد غرة رمضان ١٣٥١ هجرية

حقبة المعلم العظيم الحاج نور الحق ماجيان ، فخرج من مدرسته العلماء العاملون أفواجا ومسقط رأسه في ولاية يونان . انتهى

وهذا يوضح أهمية الحاج محمد نور الحق ومكانته الفكرية التي أهلته للإمامة وتخرج عدد كبير من العلماء على يديه. (١) وهو يعترف بعلو قدر ليو تشيه فقد كتب في شرحه لكتاب فلسفة الإسلام أو ما سماه بالسبل :

" لما رأيت متن " السبل " المؤلف باللسان الصيني لبديع الزمان العالم العلامة المحقق المدقق المشتهر في بلاد الصين بعلو البلاغة في التأليف والبيان " صالح قليان " قدس الله سره ، فوالله لولا ختم المصطفى عليه السلام لكان في الصين نبيا " ثم يضيف واصفا الكتاب ومشيرا إلى الشرح الذي كتبه عليه : " رأيت أوضح كتب الحقائق معنى ، وأحضرها لفظا ، وأحسنها ترتيبا مع توضيح ليس فيه حشو وإملال ، ومع اختصار بين فيه كل شيء في العالمين بالإكمال .. أمرت أتباعي بحفظه ، لكن أهم عندهم بعض معانيه ، ولشفقتي بهم ، بالعربية بيته ، ثم لتكثير فوائد به شرحته ، وأنا بـ (اللطائف الخمسة) سميته . " (٢)

وما يهمنا هنا هو الإشارة باختصار شديد إلى فلسفة ليو تشيه التي تأثر بها بالضرورة تناكا اييه بعد قراءته لكتبه ، وترجمته لها ، ومن هنا نشير إلى أن ليو تشيه أراد أن يقدم الإسلام كمعتقد يهدف للوعي بالعلاقة بين الإله الخالق للأشياء من عدم مطلق، وهذا العالم المخلوق الموجود، وتقدم مفاهيم جديدة قائمة أساسا على الاعتقاد بحقيقة الخالق إلى من هم يؤمنون بثقافة قائمة أساسا على الفكر الكونفوشيوسي أولا ثم البوذي والطاوي ثانيا ، وهي الثقافة أو لنقل العقيدة التي لم تعرف فكرة الخلق من عدم ، غير مراحل تطورها الفكري .

ومن هنا كان ليو تشيه يفكر في كيفية تفسير هذا الدين أي الإسلام الذي أراد أن يكون له وجود ملموس في الصين ، وهكذا اتجه إلى تفسيره تفسيراً كونفوشيوسياً ، على أساس البحث عن نقاط الاتفاق ، مبتعدا عن نقاط الاختلاف ، ويبدو أن هذا كان أسلوب علماء الصين المسلمين السابقين له واللاحقين ، فقد كتب العالم المسلم الصيني " كوئين تاي يو Qoen Tai yu " عام ١٦٤٣م كتابا بالصينية ، يهدف فيه إلى إظهار أوجه التشابه الوثيق بين التعاليم الكونفوشية والإسلام ، كما اتبع نفس المنهج العالم الصيني المعروف أبو يوسف ما تونغ ، وذلك في محاضراته التي ألقاها ضمن حلقة بحث عن الإسلام في الصين بالمدرسة العليا للعلوم الاجتماعية في باريس سنة ١٩٩١م .

وقد يبدو هذا الأمر لأول وهلة مخفوا بالمخاطر من الناحية العقدية إلا أنه يمكن القول بأن علماء المسلمين الصينيين وغيرهم من العلماء في الصين يدركون أن كونفوشيوس ليس بنبى مرسل ، لكنه حكيم ومفكر ، وله أتباع يطلق عليهم كما ذكر العالم الصيني المسلم " واي وين كين " في حوار له بجريدة الأهرام القاهرية عام ١٩٣٢م . (٣) وهكذا فإن كونفوشيوس كما ذكر العالم المسلم واي وين كين مصلح ، ولم يكن نبيا مرسلا ، ولم يقل بذلك هو نفسه أو أحد صحابته ... وكل تعاليمه خاصة بشئون الدنيا وتدبير الأمور المادية والسياسية والإدارية ، وأصحابه ليسوا مقيدين بعبادة إله معين . (٤)

ومن المعروف أن الأمور الدنيوية في الإسلام متروكة للمسلمين ، يصرفونها بما يتوافق مع بيئتهم وظروفهم وزمأنهم ، بحيث لا يتعارض ذلك مع ما جاء به الشارع ، وبحيث لا يؤدي إلى إهمال أي فرض أو واجب من فروض الإسلام أو واجباته .

وهذا تأكيد على أن تناكا إييه لم يجد أبدا تعارضا بين ما جاء به الإسلام وبين ما يخص الأمور الدنيوية المذكورة في كتب السيرة النبوية وفي القرآن الكريم ، لكنه أدرك تماما أن الدخول في حظيرة الإسلام يفرض على الإنسان أن يصرح

(١) سعاد الوحيدى مصدر سابق ص ٧٦

(٢) انظر ص ٣١ من الشرح المذكور

(٣) انظر شكيب ارسلان في هوامش تعليقاته على حاضره العالم الإسلامى

(٤) انظر سعاد ص ٧٩

بذلك بإعلانه للشهادة ، ثم يفرض عليه بعد ذلك أداء الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت إن استطاع لذلك سبيلا .

ومن ناحية أخرى حرص تناكا على أن يتقرب إلى الله بالإكثار من العبادة والالتزام بالصلاة وصوم رمضان ، واتباع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم التقرب إلى الله بالتفكير في ملكوته ، وحب مخلوقاته ، والعطف على بني البشر ، لأهم جميعا من أبناء آدم ، ولهذا وقع كتاباته في بعض الأحيان باسم محمد نور الدين ابن آدم .

ولهذا فحين قرأ عن الإسلام ، وترجم عن الصينية ما كتب عن الإسلام ، وأدرك ما يقوم عليه الإسلام من قيم أخلاقية ، وتعاليم إنسانية تمثل روح هذا الدين ، لم يشعر أنه أمام معتقد مواجه لمعتقدده هو ، ومن هنا كان من السهل بعد الدراسة والبحث أن يدخل إلى الإسلام ، ويصير مسلما بحق ، لكنه ظل يفكر في عقيدة بلده أي الشنتوية ، تلك العقيدة التي يمثل فيها الإمبراطور رمزا معينا ، وأظن أن هذه مسألة تحتاج إلى دراسة متأنية وعميقة ، وقد ذكر البروفسر نور الدين موري تفسير ذلك في مقدمته للمجلد الثالث من كتاب تناكا إيبه الذي طبعته جامعة تاكشوك :

" طالما كان (أي تناكا) يقارن بين الإسلام وديانة الشنتو اليابانية في العقيدة والشعائر حتى غدا مجزما بأن استمرار سلالة إمبراطور اليابان ما كانت لولا إرادة الله تعالى ، مما جعله شديد الفخر بوطنه اليابان الذي يحفه الله برعاية خاصة ... وأعتقد أن أسلوب العبادة كليهما في الإسلام وديانة الشنتو هما الوسيلة المثلى التي أنعم الله بها على البشر منذ القدم من أجل التقرب إلى الله ، فربط الدينين ربطا وثيقا مرجعه قديمهما عبر تاريخ البشر .. كما توصل (أي تناكا) إلى فكرة تقضي بأن مفهوم " الإله " في الإسلام (أي الله) هو نفسه في ديانة الشنتو (١) حيث تشير الصفات الإلهية فيهما إلى أن الله واحد لا شريك له ، وليس كمثل شيء ، كما ورد في سورة الإخلاص في القرآن الكريم . انتهى (٢) وما أثر هنا قد يوجد إشكالية عقيدة ليس هذا مجال مناقشتها ، وقد تثير جدلا كبيرا ، أو انتقادات حادة ، أو حتى اتهامات بالهرطقة أو بالخروج عن الدين

وبصرف النظر عن الاتفاق مع ما ذكره البروفسر نور الدين موري أو الاختلاف معه ، إلا أنه يمكن القول بأن تناكا إيبه قد تأثر بكتابات ليو تشيه وفلسفته ، فيما يتعلق بتقديم الفكر الإسلامي للصين على البساط الكونفوشيوسي ، أو عرض التراث الكونفوشيوسي كأنه تراث حضاري عام ، يحمل خصوصية الفكر الإسلامي ، مما جعله يقبل بسهولة في الصين كمصدر من مصادر التعاليم الأخلاقية بل والوطنية ، فقد ذكر نائب الإمبراطور في تقديمه لكتاب ليوتشيه فلسفة الإسلام " .. إن كتابه (أي فلسفة الإسلام) رغم أنه جاء ليقدّم عقيدة الإسلام، إلا أنه يضيء في الحقيقة مذهب الكونفوشيوسية ". (٣)

لقد صرف كونفوشيوس النظر كلية عن الميتافيزيقا ، وقصر اهتمامه على هموم الإنسان في محاولة لتنظيم الدولة وتنظيم السلوك البشري ، من خلال تقديم فكر خاص يتعلق بالفطرة البشرية التي تحكمها النواميس ، ثم قال بوجود إرادة السماء ، التي هي " عناية فوقية هادئة " يجب العمل أيضا وفق إرادتها ، وهي إرادة يمكن فهمهما عن طريق الوعي بالتاريخ ، ومن هنا استمد كونفوشيوس من " التراث الماضي " تقاليده ، وعاداته ، وموروثه الحضاري حتى يعزز فكرته عن ناموس الفطرة البشرية ، مؤكدا على فكرة الصين الأمة الواحدة . وقد فهم تناكا إيبه هذا ووعيه تماما ، لكنه خطا خطوة للأمام ، فرغم اعتزازه بوطنه اليابان ، ورغم اعتقاده بأن قدرة الله قد تجلت في صون سلالة الإمبراطور حتى اليوم - كما هو مسلم به في معتقدات الشنتو - إلا أن يقينه بأن الحق في الإسلام أكثر من غيره كان شديدا ... والإسلام وديانة الشنتو وغيرهما ما هي إلا شيء واحد لغرس نبت في آسيا ، لكن صبغة المكان والثقافة تركت آثارها على كل منها ،

(١) يطلق عليه نوميناكا نوشي تو كامبي يطلق عليه أماميه نو ميناكا نوشي نو كامبي

(٢) انظر الكتاب المذكور ص ٥٠٩

(٣) دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية ص ٧٧٧ نقلا عن سعاد الوحدي

فكان النتائج في الهند هو البوذية ، وفي اليابان الشنتو ، وفي الصين الطاوية إلخ ... ومن هنا دعا تناكا بوحدة عامة تربط ليس اليابان فقط ، بل تربط جميع أطراف قارة آسيا تحت شعار آسيا الواحدة . (١)

ثم خطا خطوة أخرى حين نادي بالحوار بين الأديان، ووصل في النهاية إلى ضرورة دمج الدولة في الدين حتى يتحقق الأمن والاستقرار بفضل الله، وقد اهتمدى لذلك بعد دخوله في الإسلام كما ذكر البروفسر نور الدين موري. وإذا كان ليوتشيه قد تمكن من جذب الصينيين للتعرف على الإسلام من خلال تقديمه للسيرة النبوية في كتابه المهم سيرة محمد ، حتى أنه نال إعجاب الإمبراطور الصيني (٢) فإن تناكا إبيه لم يفتأ يذكر النبي صلى الله عليه وسلم في كل مناسبة ، بل يتخيله دائما أمامه ويشعر به في أعماق قلبه ، بل ويقول إنه لا يزال موجودا بيننا ، بتطبيقنا لسيرته تطبيقا عمليا . (٣)

تناكا إبيه ومنهج التعريف بالفكر الإسلامي في اليابان :

بدأ اهتمام اليابان الواضح بالإسلام قبيل الحرب العالمية الثانية، ومن ثم أخذت تحت الباحثين اليابانيين للتوجه الى دراسة الإسلام والمسلمين وبخاصة في جنوب شرق آسيا والصين وجرت بحوث ودراسات عديدة عن الاسلام والمسلمين في الصين فاقت الدراسات التي أجريت عن مناطق جنوب شرق آسيا كالملايو وجزر إندونيسيا ، وكانت اليابان ومنذ بداية الحرب اليابانية الصينية قد كثفت نشاطاتها في مناطق المسلمين بالصين، واهتم الجيش الياباني بإجراء البحوث عن الإسلام والمسلمين في الصين بهدف كسب ود المسلمين الصينيين وبخاصة من عرق الهوي والأويغور ومن ثم تأسست بعض الجمعيات الإسلامية ومراكز الدراسات الإسلامية بهدف دراسة المجتمعات الإسلامية ومحاولة استمالتها الى جانب اليابان مثل الجمعية اليابانية الإسلامية العظمى داي نيهون كايكيو كيو كاي التي تأسست عام ١٩٣٨م ومعهد دراسات العالم الإسلامي كاي كيو كين كين كيوشو الذي تأسس في العام ذاته، وتوسعت أنشطة هذه الجمعيات والمراكز لتشمل الصين ومناطق جنوب شرق آسيا وقد توقفت هذه الأنشطة بعد هزيمة اليابان في الحرب . (٤)

و نلاحظ وجود نمط آخر من الخطاب الإسلامي في تلك الفترة كان صادرا عن ياباني غير مسلم ، والحقيقة أنه يصعب علينا الآن حصر الكتابات التي ظهرت في تلك الفترة والتي تناولت الفكر الديني الإسلامي في اليابان، إلا أنه يمكن أن نوجزها فيما كتبه المفكر الياباني أوكوبو كوجي من أبحاث متنوعة تلقى في مجملها الضوء على تعاليم الإسلام ، وما كتبه أوكوبو باليابانية والفرنسية والإنجليزية ، ففي عام ١٩٣٤م كتب بحثا في ٥٥ صفحة بعنوان الإسلام ، وكتب بعدها بحثا عن الإسلام بالاشتراك مع كوباياشي هاجيميه باللغة الفرنسية ، وفي يناير عام ١٩٣٩م كتب بالإنجليزية عن الشرائع والعقائد الإسلامية The Doctrines of Islam وفي مايو كتب بحثا بعنوان " عن محمددين " وكتب في يونيو بالاشتراك مع كوباياشي هاجيميه بحثا بعنوان قراءات إسلامية وفي سبتمبر من العام التالي كتب بالفرنسية مقالا بعنوان Jeune de Musleman في سبع صفحات ، وفي ديسمبر من عام ١٩٤١م كتب بحثا في ٥٤ صفحة بعنوان مبادئ الإسلام والحالة الحاضرة ، والحقيقة استمر أوكوبو كوجي يكتب عن الإسلام بعد الحرب العالمية الثانية ، ففي ديسمبر عام ١٩٥٠م نشر بالاشتراك مع كا جا ميشيما هيرووكي (بجيم قاهرية) كتابا في ٣٠٣ صفحة بعنوان "دراسات عن القرآن الكريم"

وقد كتب كوباياشي هاجيميه " مذكرات عن رمضان " في يناير ١٩٣٨م وكتب فيما بعد سلسلة مقالات بعنوان التاريخ الإسلامي نشرت في يونيو ١٩٣٩م وفي أغسطس من العام نفسه وفي مارس من عام ١٩٤٠م ، وفي إبريل من عام

(١) انظر نور الدين موري تناكا إبيه رائد الدراسات الإسلامية جامعة تاكشوك مصدر سابق ص ٥٠٩

(٢) انظر سعاد الوحيددي ص ٨٠ مصدر سابق

(٣) انظر تناكا إبيه ١م الترجمة العربية سمير عبد الحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشي ، مركز الملك فيصل للبحوث

والدراسات الإسلامية صفحات متفرقة

(٤) انظر الاحتلال الياباني لجنوب شرق اسيا أثناء الحرب العالمية الثانية والدراسات الإسلامية في اليابان د يوكي

شيوزاكي دراسات يابانية وشرقية العدد الرابع ص ١٠٨ وما بعدها القاهرة يوليو ٢٠١٠م

١٩٤٢م نشر بحثا في نحو ٤٠ صفحة بعنوان القرآن أو السيف ، واستمر في نشر سلسلة مقالات عن الإسلام حتى عام ١٩٦٠م . وهكذا وجد مفكرون بدؤوا كتاباتهم عن الإسلام في تلك الفترة واستمروا إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية مثل سودا ماساتسوجو بجيم قاهرية الذي كتب سنة ١٩٣٧م مقالا بعنوان " عن الإسلام " أو حول الإسلام ، كما كتب أيضا سلسلة مقالات سنة ١٩٥٥ بعنوان " حكاية الإسلام " . وقام البعض الآخر بكتابة مراجعات لكتب الغربيين عن الإسلام ومنهم تاساكا كودو الذي كتب مراجعة لكتاب أربري الإسلام وديانات الشرق القديم ونشرت هذه المراجعة في أكتوبر ١٩٤١م ومن العجيب أن يهتم بعض المفكرين اليابانيين بالمذاهب التي نسبت نفسها إلى الإسلام والإسلام منها براء ، مثل البهائية ، فقد كتب نايتو تشيشو بحثا قصيرا بعنوان " المذهب البهائي ومؤسسه " نشر في يناير ١٩٢٩م ، كما كتب هو نفسه سلسلة من المقالات منها " حركات الصلاة في الإسلام (يوليو ١٩٣١م) مدخل إلى الإسلام (يوليو ١٩٣٨م) ، وظهور المذاهب وتطورها في الإسلام أكتوبر ١٩٣٨م ، والثقافة الإسلامية سبتمبر ١٩٣٩م ، ومقال بعنوان " الصلاة الإسلامية " نشر في فترة متأخرة أي في مارس ١٩٦٦م ، كما كتب ماتسوميا شون إتشيريو مقالة بعنوان البهائية نشرت في ديسمبر ١٩٣٠م . وباختصار ركز معظم اليابانيين في تلك الفترة على شرح مبادئ الإسلام بشكل عام ، فقد كتب نوكتيوتشي ناجايوشي : " مبادئ الإسلام في سلسلة من المقالات نشرت في مايو ١٩٣٩م وفي أوائل فبراير ومنتصف فبراير ١٩٤١م ، وكتب فوجيو جونجي : العباد ، والواجبات الدينية في الإسلام إبريل ١٩٣٩م وكتب ميتاني كورو عن الشروط الإسلامية للطعام فبراير ١٩٤٠م ، وكتب ميتسو هاشي فوجيو " ماء الطهارة الذي يستخدمه المسلمون يوليو ١٩٤٢م ، واهتم البعض الآخر بالكتابة عن رأي غير المسلمين في الإسلام فكتب هاراميتشي تسوجو " وجهات نظر روسية عن الإسلام ونشر بحثه في أول أكتوبر من عام ١٩٣٩م وترجم ساكي اكيو كتاب C H Bcker عن الألمانية النصرانية والإسلام ونشره عام ١٩٣٩م وهناك كتابات مجهولة المؤلف ، ربما صدرت بهدف الدعاية لمذهب ما أو كانت مترجمة عن لغة ما ، ومنها " البهائية دين الحب " ومنها " المذاهب والمساجد والفرق في الإسلام " أغسطس ١٩٣٨م ، ومنها " الحج في الإسلام " فبراير ١٩٣٩م ومنها " المفهوم المعاصر للإسلام " مايو ١٩٣٩م ومنها " المفهوم الإسلامي للحياة بعد الموت " ديسمبر ١٩٣٩م وغيرها (١). لقد اهتم اليابانيون في مرحلة البدايات بالقرآن الكريم واستمر هذا الاهتمام ، بل زاد كثيرا فصدرت ترجمة أحمد أريجا (بجيم قاهرية) مع تاكاهاشي جورو (بجيم قاهرية) في يونيو ١٩٣٨م في ٨٧٨ صفحة مع ٨ صفحات مقدمة ، وصدرت سلسلة مقالات تضمنت ترجمات لمعاني آيات من القرآن وشرحا لبعضها ، وقد قام بهذا كل من ساكاموتو كين رينشي ، و أوكوبو كوجي ، وكوباياشي هاجيميه (مقالات مختصرة نشرت في يوليو ١٩٣٨م ونوفمبر ١٩٣٨م ويناير ١٩٣٩م) وقام أوكوبو كوجي بترجمة سلسلة من المقالات صدرت بالألمانية بعنوان : Koran der Japanischen Übersetzung في مايو من عام ١٩٤١م ، وفي فبراير وإبريل وسبتمبر من عام ١٩٤٢م ، وفي يوليو وسبتمبر من عام ١٩٤٢م ، وفي يناير ومارس ويونيو وسبتمبر وديسمبر من عام ١٩٤٤م .

وكتب ساكوما تيجييرو مقالا بعنوان " تحليل " أو شرح القرآن فبراير ١٩٣٦م .

واهتم ايكيدا تاداشي بالكتابة عن صحيح البخاري وصحيح مسلم فنشر مقالا عن الصحيحين في سبتمبر ١٩٣٩م وظهرت كتابات مجهولة المؤلف أيضا عن القرآن الكريم والحديث النبوي منها : حول الكتاب المقدس في الإسلام في أغسطس ١٩٣٨م ، وفصول من الحديث النبوي يوليو ١٩٣٩م والحديث النبوي سبتمبر ١٩٤٠م وهي مقالات قصيرة في أربع أو خمس صفحات .

وإذا ما انتقلنا إلى الاهتمام بالسيرة النبوية لاحظنا الاهتمام بالترجمة عن اللغات الأخرى فقد سبق ذكر تناكا اييه وترجمته لموسوعة السيرة النبوية التي كتبها ريو كايكو بالصينية ١٩٤١م وقد ترجمت الجمعية الإسلامية اليابانية عام

١٩٣٤م كتابا لعبد المجيد قريشي في السيرة النبوية عن اللغة الأردنية بعنوان هادي عالم . أما فورونو كنيوتو فقد ترجم كتاب Dermenghem, Emile عن الفرنسية حياة محمد La Vie de Mahammet وذلك في ديسمبر ١٩٤٠م

كما أصدرت جمعية اليابان الإسلامية أيضا ملخص سيرة النبي محمد بقلم أحمد أريجا ونيشيموتو في إبريل ١٩٣٥م ، وكتب هيروشي تطور الدراسات الخاصة بسيرة النبي محمد في يوليو ١٩٤١م ، وكتب أوكازوا شوميه مقالا بعنوان الإسلام ونبي الإسلام نشر في مارس ١٩٢٣م ، بينما كتب او كودائي را شؤوايتشي مقالة صغيرة بعنوان حياة النبي محمد في يوليو ١٩٣٨م ، وكتب او كاجيما ستيئا رؤو مغزى ظهور الإسلام في أغسطس ١٩٤٢م ، وكتب كوسانو هاتشيزو " مبدأ النبي محمد : القرآن أو السيف في نوفمبر ١٩٣١م .

وكتب نايتزو تشيشو النبي محمد المؤسس في أغسطس ١٩٣٨م وكتب نوجوتشي (بجيم قاهرية) زينشيرو حياة النبي محمد في يناير ١٩٣٠م . (١)

وهكذا نلاحظ الثراء الكبير الذي شهدته هذه الفترة سواء في الكتابات المتعلقة بالقرآن الكريم والسيرة النبوية أو المتعلقة بالفكر الإسلامي ككل، وهذا يدل على أن الاهتمام بالإسلام كان متنوعا طبقا لمصادره التي تعددت داخل الساحة اليابانية التي كانت تعد عدتها لخوض حرب ، سيكون فيها للمسلمين - على الأقل من وجهة نظر المفكرين اليابانيين - دور يلعبونه ، وبالتالي يجب فهم عقيدة هؤلاء المسلمين.

ومن الملاحظ أيضا أن الفكر الديني الإسلامي في اليابان لم يمس على وتيرة واحدة، فتناك إيبه أو نور محمد تناكا أسلم في الصين وتأثر بمسلمي الصين ، وكانت صورة الإسلام في ذهنه هي صورة الإسلام في المناطق الصينية التي عاش فيها . كان الفكر الديني الياباني مثل صورة تداخلت ألوانها للغاية ، ويزيد في تداخلها تغلب العقائد التراثية لدى اليابانيين جميعا ، دون تمييز بين نصراني أو مسلم أو بوذي أو شنتوي أو كونفوشي ... ففكرة الإله لا تزال غير واضحة في الأذهان ، وفكرة البعث يتم تقديمها بأشكال مختلفة قد لا تتفق مع عقيدة الإسلام ، ولا حتى مع ما يراه النصارى ، ومن هنا كانت محاولات الربط والخلط والتداخل الذي يصعب معها الفصل بين المعتقدات لدى الشعب الياباني . . فكانت هناك حاجة ماسة وضرورية إلى وجود عدد ممن يستطيعون تقديم الإسلام في اليابان في صورة مبسطة وواضحة ، والقرائن تؤكد على أن هذا الأمر لم يتيسر على الأقل في تلك الفترة ، أي فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، وهي الفترة التي نشط فيها تناكا إيبه في تقديمه للإسلام في اليابان (٢).

كان تناكا إيبه أساسا باحثا من الباحثين الذين خدموا الجيش الياباني لسنوات عديدة لقد درس تناكا الإسلام وعاش المسلمين الصينيين ، حين رجع إلى اليابان أراد أن يوضح لأهل وطنه بأنه شعر بأن الشنتو - الديانة الوطنية - والإسلام - الديانة التي اعتنقها - لهما نفس الروح ، ومن خلال مقالاته ، ويوميته التي كان يسطرها وينشرها في الصحف ، حاول أن يوضح لليابانيين مفهوم الله في العقيدة الإسلامية ، ولما كان يخاطب أناسا يؤمنون بالشنتو فقد ذكر بأن " الله " في الإسلام و " أماتيه نو مينكا نوشي نو كامي " في الشنتو هما نفس الشيء يحملان مفهوم الإله الواحد ، الذي هو دائما متفرد بالألوهية ، وهي مخفي لا يراه أحد ، ويضيف تناكا بأن القرآن الكريم يبين أن الله موجود وهو واحد أحد ، لم يلد ولم يولد .

وتناكا يعترف بأن حركة الدعوة إلى الإسلام في اليابان تفتقد إلى النشاط ، وهي ليست مثل نشاط المنصرين والدعاة الآخرين ، فمنذ العصور القديمة تعلمت اليابان الدين من الصين ، لكن الدين في الصين - الآن - تغير عن فكرته الأساسية وعن تعاليمه الأساسية ، ويوجد فرق بين عقيدة اليابانيين وبين الدين في الصين ، لكن في الإسلام الأمر مختلف ،

(١) المصدر السابق

(٢) انظر سمي عبد الحميد الخطاب الديني في اليابان نظرة تاريخية محاضرة مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية

الرياض ٢٠٠٤م

فالإسلام كما هو لم يتغير منذ أن جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والعلاقة بين الإسلام وتعاليم الدين ذاته علاقة ثابتة وراسخة (١).

ويحاول تناكا شرح مفهوم الألوهية في الإسلام لأناس يعتقدون عقيدة أخرى محاولاً أن يقرب إلى أذهانهم الفكرة بما لديهم من معتقد ، وحتى تتضح الصورة أكثر ، يمكننا أن نقرأ ما كتبه عن الحج ، وهو يخاطب جماعة من الكهنة البوذيين ، ويتضح هذا أيضاً ضمن سلسلة مقالاته (٢)

وكان تناكا قد نشر سلسلة من المقالات في إبريل ١٩٣٠م (شوا ٥) عن حياة المسلمين والحج إلى مكة (٣) وقد خاطب اليابانيين بأسلوب يتناسب مع العقلية اليابانية ، إلا أن تناكا كان يدرك جيداً أن الإسلام له تعاليمه التي لا يمكن أن تذوب في أي عقيدة أخرى ، وأن الإسلام آخر الأديان له خصوصية تحميه من أن يذوب في أي دين آخر ، كما أن النبي هو خاتم الأنبياء ، ويتضح هذا من خلال إشارته إلى سمات مسلمي الصين :

" المسلمون الموجودون في عموم الصين متطورون مع ثقافتهم الصينية ومع الكونفوشية ، إلا أن معتقداتهم الدينية لا تزال ثابتة على ما هي عليه ، قائمة على أسس الإسلام المتينة ، فهم لا يزالون يؤمنون بالتعاليم التي جاء بها محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الدين أي الإسلام ليس مثل النصرانية أو أي دين آخر يعتمد على الشكل أو المظهر فقط ، إنه قوة دينية ، وقوة إيمانية ، قوة عظيمة لا تساويها قوة أخرى .. " (٤)

ويؤكد تناكا على أن سبب انتشار الإسلام في الصين هو وجود تشابه بين تعاليم الكونفوشية وتعاليم الإسلام :

" .. بالمقارنة بالبلاد الأخرى نلاحظ أن الناس في الصين أقبلوا على تعاليم الإسلام بكثرة مع عقيدتهم الأصلية وهي الكونفوشية ، فهم يفكرون بأن الطريق الذي رسمه النبي صلى الله عليه وسلم هو نفسه الطريق الذي بينه كونفوشيوس وأنه لا اختلاف في ذلك ، فالفكرة الصينية القديمة كانت تعتمد عقدياً على السماء ، هذه الفكرة تتناسب مع ما جاء به الإسلام ، ولهذا السبب تحول كثير من المثقفين إلى الإسلام. (٥)

ومن الأمور الأخرى التي أشار إليها تناكا إيبه في تعريفه بالإسلام بين أوساط المثقفين اليابانيين ، بل وبين رجال الدين اليابانيين البوذيين وغيرهم ، إشارته إلى الفرق الإسلامية ، وكأنه يريد أن يقول بأن هناك تشابهاً أيضاً في هذا الأمر ، ففي معرض حديثه عن مسلمي الصين ، يذكر بأن المسلمين في الصين على المذهب الحنفي السني ، وهناك من بين مسلمي الصين من هم على مذهب خاص بهم ، يطلق عليه " شين شين " وهم جماعة تميل إلى التجديد ، بينما توجد جماعة تعارضها وتقول بالتمسك بكل ما هو قديم ، وهناك جماعة أخرى يطلق عليها " كيو سين ها " وهي جماعة تميل إلى شرح تعاليم الإسلام عن طريق تأويل النصوص الخاصة بتعاليم الإسلام بشكل متغير طبقاً لمتغيرات العصر ، لذا فصورة الإسلام عند هذه الجماعة صورة متطورة بمعنى متغيرة .. وإذا ما قورنت الجماعات الأخرى بالفرق والجماعات الموجودة في البلدان الإسلامية ، فسوف نلاحظ بأنها تتخذ طابع الفكر الكونفوشي " ويشرح تناكا فيما بعد هذه العبارة ثم يقول .. وهم لا يمكن أن يأخذوا أبداً جانب البوذية أو الطاوية ، لكنهم في مراسم الزواج والجنائز يمكن أن يكونوا مع الكونفوشية ، إذ أن هناك عناصر من تعاليم الإسلام والكونفوشية يمكنها أن تمضي معاً جنباً إلى جنب .

(١) رحلته السحاب الطافي الفصل ١٣

(٢) انظر مجلة سكاي تشي شي كي World Knowledge المجلد الخامس العدد الخامس ، وانظر أيضاً جرنال هاتسو سيه العدد ٧٦ يناير ٩ شوا وأيضاً عدد فبراير رقم ٧٧ وانظر أيضاً طريقة حياة المسلمين والحج إلى مكة إبريل ١٩٣٠م (٥ شوا) انظر الترجمة العربية تناكا ايبه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

(٣) انظر تناكا ايبه الترجمة العربية مصدر سابق فصل بعنوان يوميات الحج إلى مكة نوفمبر ١٩٣٣م

(٤) الرحلة الفصل ٩

(٥) تطور الصين وريوكاكو الفصل الأول

وقد ذكر تناكا أيضا الاختلافات بين الفرق فيما يتعلق بقراءة الفاتحة خلف الإمام وغيرها ، ويذكر أن جماعة المسلمين تنقسم إلى جماعة السنة وجماعة الشيعة ، لكن الشيعة قليلون ، والسنة هم الأكثرية ، وجماعة السنة تنقسم إلى حنفي وشافعي وحنبلي ومالكي ، لكن أكثرهم من المذهب الحنفي ، ومعظم المسلمين في الصين والهند وإفريقيا وأيضاً البلاد العربية من الأحناف.

وفي معرض حديثه عن المذاهب يوضح تناكا رأيه فيشير إلى أن الباحثين كانوا يركزون على دعم آرائهم ، لكنهم لم يتحمسوا لخلق رأي إسلامي يتطابق مع التيارات الحديثة التي تمضي وتتغير من عصر إلى آخر ، وهو هنا يشير إلى توقف الاجتهاد ، مما أدى إلى انتشار البدع والخرافات ، مما أضعف الإسلام كثيراً ، ويرى تناكا أنه يمكن القضاء على هذا الضعف بأن يقدم الإسلام للناس بصورته الحقيقية ، فهو دين يحمل بداخله روح التسامح ، ويمكن الاستفادة كثيراً من هذا الأمر(١).

خاتمة:

لا شك أن اتصال العرب بالصين ، واسهامات العرب والمسلمين في الحياة العلمية والفكرية الصينية لا يزال بحاجة ليس فقط إلى المزيد من البحوث بل إلى تعميق البحوث ذاتها للوصول إلى نتائج جديدة تكشف عن عمق العلاقات العربية الصينية وتأثيرها في المناطق المجاورة ، وإذا كانت السجلات الصينية القديمة تشير إلى الاتصال المبكر بين الطرفين فإنه من واجب الباحثين المتخصصين نقل الوثائق والمصادر الصينية إلى اللغة العربية وتوفيرها للمزيد من البحوث ، وكذا نقل المصادر العربية والفارسية إلى اللغة الصينية ، ومن الطريف أن يشير رشيد الدين الهمداني في كتابه جامع التواريخ إلى مكانة العرب والمسلمين في الصين في جميع المجالات لدرجة أن مراسم قبلاي خان وأوامره كانت تترجم إلى اللغة العربية والفارسية. وقد انتشرت المدارس الإسلامية التي تدرس اللغة العربية واللغة الفارسية فضلاً عن العلوم الإسلامية وتم ذلك تحت رعاية أباطرة الصين للعلماء من أصول عربية وإسلامية مما ساعد على إسهام علماء العرب المسلمين في الفكر والثقافة من جهة وتأثرهم بالفكر الصيني والثقافة الصينية ، وقد تأثر المسلمون الصينيون بالأفكار الكونفوشية وتعاليمها ، بل أصبح بعضهم من كبار أساتذتها ، ولم يكن هذا بالأمر الغريب لأن تعاليم الكونفوشية الأخلاقية لا تتعارض مع تعاليم الإسلام في شيء ، وهكذا ظهر في الصين علماء عرب صينيون مثل العالم المسلم الذي كان يلقب بالسيد الأجل/عمر شمس الدين (١٢١١م-١٢٧٩م) أو كما تطلق عليه المصادر الصينية الأمير العربي زيانغ يانغ Xiang Yang والذي هاجرت أسرته من الجزيرة العربية إلى بخارا حيث ولد شمس الدين ، ومنها إلى الصين سنة ١٠٧٠م مع جيوش المغول ، وظهر علماء متخصصون في القرآن والحديث والفقه والتوحيد وغيرها من العلوم الإسلامية.

وكان المسلمون - كما يذكر توماس أرنولد - يصورون الإسلام لمواطنيهم من الصينيين على أنه متفق مع تعاليم الكونفوشية ، وقد كانت مؤلفات المسلمين تمجد كتب كونفوشيوس وغيرها من الكتب الصينية ، وتشير إلى الإتساق بين ما في الكتب الصينية وتعاليم الإسلام . لقد أوضح البحث نقطة يحسبها الباحث لا تزال بحاجة إلى تدقيق وهي تأثير الفكر الديني الصيني المتمثل في الكونفوشية بالإسلام من جهة وتأثيره في اليابان من جهة أخرى ، ولهذا اختار الباحث "المسلم الياباني تناكا ايبه" ليكون نموذجاً يساعد على إيضاح هذه النظرية ، فالكونفوشية والطاوية حددتا في معظم الأوقات جوانب العلاقات المختلفة بين المسلمين وجيرانهم داخل الصين من جهة ، وأثرت على الفكر الديني الياباني من جهة أخرى ، ومن المعروف أن العالم المسلم الشيخ ليوتشيه - صاحب كتاب سيرة خاتم النبيين - كان يعلم الكونفوشية ، وكان يدرس العقائد الصوفية وفلسفة التأمل ، وكان يعتقد أنه لا فرق أبداً بين تعاليم الإسلام الأخلاقية وتعاليم الكونفوشية ، وهذا ما أشار إليه الياباني "تناكا ايبه" الذي تلمذ على كته واستفاد من مؤلفاته وترجم كتابه سيرة خاتم النبيين إلى اليابانية ، ونقل كثيراً من أفكاره ، وقد اعتنق الياباني تناكا ايبه الإسلام ، وهو يعد رائد الدراسات الإسلامية في اليابان وكان بدوره يرى أنه لا فرق بين التعاليم الأخلاقية في الطاوية والبوذية والإسلام ، ويفهم من مؤلفات العالم الصيني ليوتشيه تأثيره بأفكار

(١) انظر نتائج الرحلة إلى العالم الإسلامي الفصل ٥

كونفوشيوس ونظراته الخاصة التي تتضمنها الأفكار الصينية التي كان يدرسها منذ صغره، ويمكن الاطلاع على أفكار ليوتشيه في علم الكلام من خلال كتابه المسمى بشرح لطائف وهو متوفر بالعربية.

وحق توجد دراسات متخصصة عن تأثير الآسلام على الفكر الديني الصيني عرض الباحث وجهة نظر يابانية عن وجود احتمال قائم بشأن تأثير الأفكار الإسلامية على الكونفوشية وبخاصة مذهب زوتشي ومذهب يانغ منغ، يذكر البروفسر شيغيرو هاسبيه المتخصص في الدراسات الصينية أنه كان يقرأ كتاب السيرة النبوية الذي كتبه العالم المسلم الصيني ليوتشيه فوجد أن ما كتبه المؤلف عن الآسلام إنما هو شرح للمنطق الكونفوشي، ويتساءل البروفسر شيغيرو: كيف أثر الآسلام في الكونفوشية؟ ويجيب: لأن زوتشي ١١٣٠م-١٢٠٠م الذي أسس الكونفوشية الجديدة كان رجلا متجولا في المناطق المجاورة لميناء الزيتونة سينشوشو Senshu الذي كان يجتمع فيها أصحاب الديانات .. وبالمثل كان المؤسس الثاني للكونفوشية الجديدة "أو يومية" ١٤٧٢م-١٥٢٨م (عهد منغ) كان في بحثه عن الطريق أو الشريعة أشبه بالصوفي، وقد شرح العقيدة الأساسية لاتحاد رب الكون والانسان أي نظرية وحدة الوجود، وهكذا أثر الإسلام في الكونفوشية وأثرت الكونفوشية في الفكر الياباني وكان تأثير الآسلام سابقا على التأثير الأوربي في اليابان.

يظهر بوضوح تأثير الفكر الديني الصيني في اليابان في فترة ما قبل الحرب العالمية من خلال كتابات تناكا ايبهيه (ولد ١٨٨٢م) وقد أوضح البحث الظروف والمصادر التي شكلت ثقافته الإسلامية فقد عاش في الصين نحو عشرين سنة، تشكلت خلالها في ذهنه صورة الإسلام وظل يقرأ ويدرس وترجم ما كتبه علماء الصين وغيرهم عن الإسلام، كما أوضح في يومياته التي سطر فيها ذكرياته في الصين الحالة الفكرية للمسلمين الصينيين وطريقة حياتهم اليومية ومساجدهم ومطاعمهم وغيرها وقد اهتم تناكا ايبهيه بترجمة كتابات العالم الصيني المسلم ليوتشيه الذي اشتهر بكتابه "سيرة النبي الخاتم" الذي ترجم إلى الإنجليزية تحت عنوان The Arabian Prophet أي النبي العربي، وقد ترجمه إسحاق ماسون Issac Mason وطبع في شنغهاي عام ١٩٢١م،

وقد خلف ليوتشيه تراثا ضخما من المؤلفات الدينية والفلسفية والعقائدية والصوفية وغيرها، ويمثل كتاب السيرة النبوية وكتاب فلسفة الإسلام مساحة في فكر تناكا ايبهيه

كان ليوتشيه يفكر في كيفية تفسير هذا الدين أي الإسلام تفسيراً كونفوشيوسياً، على أساس البحث عن نقاط الاتفاق، مبتعداً عن نقاط الاختلاف، ويبدو أن هذا كان أسلوب علماء الصين المسلمين السابقين له واللاحقين، فقد كتب العالم المسلم الصيني "كوئين تاي يو Qoen Tai yu" عام ١٦٤٣م كتاباً بالصينية، يهدف فيه إلى إظهار أوجه التشابه الوثيق بين التعاليم الكونفوشية والإسلام.

يمكن القول بأن تناكا ايبهيه قد تأثر بكتابات ليوتشيه وفلسفته، فيما يتعلق بتقديم الفكر الإسلامي للصين على البساط الكونفوشيوسي، أو عرض التراث الكونفوشيوسي كأنه تراث حضاري عام، يحمل خصوصية الفكر الإسلامي، مما جعله يقبل بسهولة في الصين، ويجعل تناكا ايبهيه يؤكد على أن سبب انتشار الإسلام في الصين هو وجود تشابه بين تعاليم الكونفوشية وتعاليم الإسلام.

وأخيراً فإن دراسة العلاقة بين الإسلام والأديان أو الثقافات الشرقية مثل الكونفوشية والطاوية والشنتوية والبوذية ستفتح المجال لمزيد من الأبحاث عن العلاقات التاريخية بين العرب والمسلمين وبلدان آسيا وعلى رأسها الصين واليابان. ولن يتيسر هذا الأمر إلا بالسعي إلى ترجمة المصادر الصينية واليابانية المتعلقة بالتاريخ الفكري والثقافي من خلال تتبع مسار العلاقات العربية الصينية حتى قبل ظهور الآسلام للوصول إلى نتائج تؤكد على عمق العلاقات التاريخية بين الصين والعرب والمسلمين.

الملحق الأول صفحات (بالعربية) من مقدمة الطبعة الصينية الحديثة لكتاب سيرة النبي الخاتم

الملحق الثاني غلاف كتاب شرح لطائف بالعربية والصفحتان الأخيرتان لطبعة عام ١٣٢٠ هجرية في مدينة كانبور

بألهند

Samirnouh@hotmail.com

Faculty of Theology, Doshisha University
Kyoto 602-8580 Japan

